اشكاليه المنظومة القيمية فى العلاقات الدولية في ظل ازمة كوفيد 19

محمد عبد العظيم الشيمي *

ملخص

يندرج هذا البحث ضمن الدراسات الوصفية التحليلية التى تستهدف وصف وتحليل أُطر وإتجاهات تحديد طبيعة العلاقات الدولية ، فهل نحن بصدد إنهيار المنظومة القيمية الغربية ودخولنا لمنظومة جديدة مع تفشى المزيد من الأزمات؟

وفى إطار هذا السياق هناك إفتراضات عملية وجبت دراستها وسعى البحث للتحقق من صحتها ، فلم تستطيع النظرية المعيارية كأول محاولة تنظيرية للعلاقات الدولية فى تأكيد قوة أفكارها وبالتالى لم تساهم فى بلورة ووضع أسس الأخلاق وذلك عبر مراحل متقطعة من تطور العلاقات الدولية وما أفرزته أزمة كوفيد 19 من تفاعلات على الساحة الدولية. و قد أدت أزمة كوفيد 19 إلى تأثيرات سلبية فى العلاقات الدولية والسياسة الخارجية للدول حيث تراجع مفهوم (التضامن الدولى – المسئولية الجماعية – العمل لمشترك) والذى من المفترض أن يكون الأساس لمواجهة جائحة عالمية.

الكلمات المفتاحية: المنطومة القيمية ،النظرية المعياريه ، التحولات في العلاقات الدولية ، أزمة كوفيد 19.

* استاذ مساعد العلوم السياسية – جامعة حلوان

The Problematic of the values regime in international relations during the covid 19 crisis

Abstract

This paper is within the descriptive and analytical studies aimed at describing and analyzing frameworks and trends to determine the nature of international relations. Are we in the process of the collapse of the Western value system and our entry into a new system with the outbreak of more crises?

Within this context, there are practical assumptions that must be studied, and the research sought to verify their validity. The normative theory, as the first theoretical attempt in international relations, could not confirm the strength of its ideas and thus did not contribute to crystallizing and laying the foundations of morality through intermittent stages of the development of international relations and the consequences of the Covid 19 crisis Interactions on the international scene. And the Covid-19 crisis has led to negative impacts on international relations and the foreign policy of countries, as the concept of (international solidarity - collective responsibility - working together), which is supposed to be the basis for facing a global pandemic, has receded.

Keywords: Values regime, Normative theory, Coverts in international relations , Covid 19 crisis. .

مقدمة

يقف الإنسان حائرا أمام هذا الكم الهائل من التحولات والتهديدات والأزمات عاجزا عن التفسير المنطقى لمتغيرات العصر الراهن وتحدياته فقد تغير الحال وتبدلت الأوضاع وأصبح عالم اليوم لا يعرف حدود الزمان ولا أيكولوجيا المكان ويجمع بين تشابكات مُعقدة عن بعد لعالم غاية فى التسارع بغير ضوابط معيارية ثابتة لأزمة شاملة ثلاثية الأبعاد, أزمة (القيادة – النظام – القيم) فهى أزمة النظام العالمى السائد من حيث الهيكلية والقيمية فى شقيها السياسى والإقتصادى وأزمة هوية الشعوب والمجتمعات بعد تأرجح ممتد عبر قرن كامل بين أيديولوچيات مستوردة مفروضة من أعلى دون قدرة على تحقيق إختراق لتحديث هذه المجتمعات وفق نموذج وطنى حضارى ليبقى التسائل الأهم إلى متى ستظل ثقافة الإنسان المُعاصر أثيرة حضارة السوق لصالح صانعيها الداعين لها؟

كانت قضايا الأخلاق والقانون موضع اهتمام مركزى لدارسى العلاقات الدولية بل إن تأسيس العلاقات الدولية بوصفها فرع من فروع البحث الأكاديمى كان مبعثه إعتبارات معيارية تسعى وراء إيجاد حلول لمشكلات استمرارية الحرب وقد وصفت هذه المرحلة أوصافاً متعددة بأنها (مثالية – طوباوية ...الخ) وتعود جذور النظرية المعيارية فى العلاقات الدولية للفلسفة القديمة التى سعت لإقامة الحياة الفاضلة فمن الجمهورية لأفلاطون إلى أتلانتس الجديدة لفرنسيس بيكون إلى الأفكار الاشتراكية التى بشرت بمواجهة الاستغلال الإقتصادى والإجتماعى لذا وجب أن نحدد مفهوم عام يساعدنا على تفسير إتجاهات المجتمع الدولى من خلال تحديد دور النظرية العامة للعلاقات الدولية فى مساعدتنا على تفسير الأحداث الدولية ومحاولة التنبؤ بها فى إطار التنظيم الدولى.

أثرت كل أزمة مر بها العالم على النظام الدولى وقواعده فمنذ توقيع معاهدة وستفاليا عام 1648 حُكِمت العلاقات الدولية بالمنظومة الوستفالية بعدما وضعت أسس عصر جديد فى العلاقات الدولية وصبغت من ثم النظام الدولى بقيمها التى يتقدّمها هدف الحفاظ على بقائها وتحقيق مصالحها ولكن هذه المنظومة تعرّضت لمراجعة جذرية مع مطلع تسعينيات القرن الماضى سيما بعد إنهيار الإتحاد السوفييتى وانتشار الديمقراطية الليبرالية وبروز ظاهرة العولمة حيث ساد التفاؤل بأن عهد جديد من الاستقرار قد حل غير أن التغيرات التى حدثت لا تعدو كونها طاولت القشرة السطحية للعلاقات الدولية وفى العمق ما زالت هذه العلاقات محكومةً بجدلية القوة فى ظل استمرار الدول بزيادة قوتها العسكرية ودخولها سباق تسلح محموم([1]).

يبدو أن الأزمات ستظل دائماً المحفز الرئيس والقوة الدافعة لتشكيل المفاهيم وصياغة النظريات السياسية بما يجعلها بمثابة نوافذ فرص زمنية للبحث عن إجابات حول تحديات وظواهر مقلقة يعيشها الوجود الإنسانى فى فترة زمنية معينة ولعل أزمة إنتشار كوفيد 19 خير برهان على تلك الفرضية والتى طالما أثبتت مجريات العصور صحتها حتى اللحظة الراهنة فمع تفشى الوباء الذى يبدو ككابوس ثقيل تعيشه البشرية حيث ظهرت أطروحات معرفية فى إطار ما يمكن وصفه بأبستمولوچيا الأزمات والتأثير على (الأفراد – المجتمعات – الدول) ولعل ما خلفه وباء كوفيد 19 من آثار ونتائج قد يفتح المجال لمراجعة قيم ومبادئ كثيرة تحكم العلاقات الدولية على المديين المتوسط والبعيد.

[1] Ruggie, John Gerard (1982) 'International Regimes, Transactions, and Change: Embedded Liberalism in the Postwar Economic Order', International Organization, 36 :2, pp.379–415

تجدر الإشارة أنه منذ ظهور العلاقات الدولية كحقل مستقل عن علم السياسة ظهرت العديد من المحاولات التنظيرية على مستواه وتجلت من خلال (نظريات – مدراس – إتجاهات) مختلفة حاولت فهم وتفسير الواقع الدولى وإعطاء صور واضحة عما يحدث داخله من تفاعلات وتأثيرات كل واحدة حسب تصورها حيث نجد من بين هذه المحاولات التنظرية الاتجاه للقيم المعيارية الذى يُعد أول محاولة تنظيرية للعلاقات الدولية والذى يجد جذوره فى الدراسات القديمة غير أنه تبلور بشكل جيد بعد الحرب العالمية الأولى([2]).

تتناول الدراسة تحليلاً لارتباط تطور المفاهيم والنظريات تاريخياً بوقوع الأزمات والأحداث المحورية ضمن سياقات تحفيز إنتشار فيروس كوفيد 19 لاستدعاء المفاهيم العائدة وخريطة المفاهيم والمصطلحات الصاعدة فى مجال العلاقات الدولية فى ظل تلك الأزمة واتجاهات مواجهة إنتشار الفيروس وأخيراً الجدل المحتدم حول ملامح وأركان عالم ما بعد كوفيد 19 لذلك فالإشكالية المطروحة هنا فى ظل الأزمة المعيارية القيمية التى أحدثها انتشار الوباء تثير التساؤلات التالية:هل يمكن لهذه الجائحة أن تهيئ لظهور تغيير فى منظومة العلاقات القيمية (النظرية المعيارية كنموذج) للعلاقات الدولية؟ وهل يمكن لها أن تفتح الباب أمام عالم يسوده مزيد من التعاون والجهود المشتركة لمواجهة التحدّيات والمخاطر غير التقليدية وبالتالى تحقيق مزيد من الاستقرار؟ فى حالة وقوع أزمات عالمية جديدة ماذا يجب أن نفعل؟

[2] Norrlof, Carla (2020) 'Covid-19 and the liberal international order: Exposing instabilities and weaknesses in an open international system', Helsinki: FIIA 11:pp. 1-2

أولا:النظرية المعيارية وتكيُفها مع الواقع الدولى

تستهدف دراسة العلاقات الدولية التوصل إلى تحليل دقيق قدر الإمكان لحقائق الوضع الدولى من خلال التعرف على طبيعة القوى الى تتحكم فى تشكيل الإتجاهات السياسة للدول إزاء بعضها وتحديد الكيفية التى تتفاعل بها القوى والإلمام بمختلف التأثيرات وردود الأفعال التى تتركها على أوضاع المجتمع الدولى هذا ومنذ ظهور العلاقات الدولية كحقل مستقل عن علم السياسة ظهرت العديد من المحاولات التنظيرية على مستواه تجلت من خلال (نظريات – مدراس – إتجاهات) مختلفة حاولت فهم و تفسير الواقع الدولى وإعطاء صور واضحة عما يحدث داخله من تفاعلات و تأثيرات كل واحدة حسب تصورها ، ونجد من بين هذه المحاولات التنظرية النظرية المعيارية التى تُعد كأول محاولة تنظيرية للعلاقات الدولية والتى تجد جذورها فى الدراسات القديمة غير أنها تبلورت بشكل جيد بعد الحرب العالمية الأولى.

تجدر الإشارة أن لفظية المعيارى تعنى ما يتعلق بمقياس تقييمى والمعيارية هى ظاهرة فى المجتمعات البشرية تتمثل فى وصف بعض الأفعال أو النتائج بأنها(جيدة / مرغوب فيها / مسموح بها) وغيرها بأنها (سيئة / غير مرغوب فيها /غير مقبولة) هذا وأنه فى الفلسفة تقدم العبارات المعيارية ادعاءات حول كيف ينبغى أو ما يجب أن تكون الأشياء وكيف نقيّمها وأىّ الأفعال صحيحة وأيّها خاطئة وعادة ما تتعارض الادعاءات المعيارية مع الادعاءات الإيجابية (عبارات يُفترض أنها

واقعية) تحاول وصف الواقع عند وصف أنواع (النظريات / المعتقدات / الافتراضات) .([3])

وهو الاتجاه الذى يهتم بالأبعاد الأخلاقية والقانونية فى العلاقات الدولية وأهميتها فى تحقيق السلم الدولى وعدالة التوزيع الدولية ويسعى بذلك إلى رؤية العالم (كما يجب أن يكون) وليس (كما هو قائم)([4]).

1- التطور التاريخى للإتجاه المعيارى

أ- تعود الأفكار المعيارية إلى الأديان السماوية التى دعت إلى التعايش السلمى بين البشر وبشرت بالمحبة والتسامح والتعاون الإنسانى غير أنها تركت للعقل البشرى مهمة تنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات توخياً للاستقرار العام وتحقيق للسلم بين بنى الإنسان كذلك كانت قضايا الأخلاق والقانون موضع إهتمام مركزى للذين يدرسون المجتمع الدولى بمكوناته المختلفة بل إن تأسيس

---

3 Jones, R. J. Barry (1981), "Concepts and Models of Change in International Relations." In Buzan and Jones (eds.). Change and the Study of International Relations. London: Frances Pinter, pp.11-29.

- بيكيرى ، كريستينا ، (2005)، قواعد المجتمع: طبيعة وديناميات القواعد الإجتماعية - منشور صحفى/ جامعة كمبريدج - لندن .

4 Der Derian, James (1997), "Post-Theory: The External Return of Ethics in International Relations." In Michael Doyle and John Ikenberry (eds.). New Thinking in International Relations Theory. Boulder, CO: Westview Press, pp.54-76.

- عدنان، حسين السيد ، (2003)، نظرية العلاقات الدولية - مطبعة سيكو للنشر والتوزيع - بيروت ، ص 23.

العلاقات الدولية بوصفها فرعاً من فروع البحث الأكاديمى كان مبعثه إعتبارات معيارية تسعى وراء إيجاد حلول لمشكلة إستمرارية الحروب فى العلاقات بين الدول.

ب- ترجع جذور الإتجاه المعيارى للفلسفة القديمة التى سعت لإقامة الحياة الفاضلة كأفكار أفلاطون وفرنسيس بيكون إلى الأفكار الاشتراكية ففى كتاب الجمهورية لأفلاطون عرض فيه نظام لمدينة مثالية وأشار إلى العوامل التى تؤدى لهذا النظام المثالى وبين فيه كف ينبغى للحاكم الفيلسوف أن يحكم بالعقل والعدل ويرى أن دور الدولة الرئيس يتمثل فى تنظيم مختلف الطبقات الإجتماعية وتقسيم العمل بين فئات المجتمع التى يقسمها إلى ثلاثة طبقات طبقة (الحكام الذين تسيرهم نفسهم العاقلة ويتصفون بالحكمة – الجنود الذين يتصفون بالشجاعة وتسيرهم العصبية – العمال الذين تسيرهم شهواتهم ويتصفون بالاعتدال والتواضع).

جـ- عبر كلٍ من إيمانويل كانط وجون جاك روسو فى هذا السياق عن أفكارهم حول السلم الدائم وبأنه لن تعود هناك حروب إذا قامت حكومات جمهورية لان الأمراء حسب رأيهم يشنون الحروب لمصلحتهم الذاتية وليس لمصلحة شعوبهم وبالتالى فإن تمكن الرأى العام من القيام بدوره بشكل فعال فلابد من أن يمنع نشوب النزاعات والحروب غير أن هذه الأفكار المعيارية الفلسفية لم تطرح وسائل سياسية لتحويلها إلى واقع معاش فبقيت فى إطار التمنيات والمثل العليا وذلك نظراً لعدة أسباب يُذكر من بينها الآتى([5]):

[5] Saurin, Julian (1995), "The End of International Relations? The State and International Theory in the Age of Globalization." In Andrew Linklater and John MacMillan (eds.). Boundaries in Question: New Directions in International Relations. London: Pinter Publishers, pp.244-261.

(1) الإبداع الفردى وليس على وجود (مناخ عام / مدرسة / منهج) يتم من عدد كبير من الباحثين.

(2) التركيز على قمة النظام السياسى فقط وعدم إعطاء قدر من الإهتمام لبقية المكونات.

(3) إرتباط الإنتاج الفكرى بفترة ما قبل ظهور الدولة القومية وما قبل نضجها وانتشارها.

(4) سيطرة المنهجية الإنطباعية والاعتماد على المعلومات التى جمعها الرحالة والمبشرون الأوائل.

(5) تنوع وتعدد مناهج التناول وإستراتيچيات المقارنة بحيث يعد كل مفكر مدرسة مستقلة بذاته.

(6) إرتباط الظاهرة السياسية (فهماً – تفسيراً – تعليلاً) بالظواهر الاجتماعية الأخرى وعدم تخصص الباحثين فمعظمهم خلفياته (فلسفية / قانونية / إجتماعية) ووصفوا بالمفكرون الموسوعيون.

د– ظهرت الدولة القومية بالمعنى المتعارف عليه فى القرن السابع عشر فى بريطانيا والقرن الثامن عشر فى فرنسا والولايات المتحدة والتاسع عشر فى غرب ووسط أوروبا والقرن العشرين فى شرق أوربا وإفريقيا وآسيا هذا وبقيت الأوضاع كما هى حتى نهاية حقبة الحرب الباردة وظهور أول محاولة تنظيرية فى العلاقات الدولية

– عدنان، حسين السيد ، مرجع سابق ، ص 41.

تمثلت فى المدرسة المثالية غير أن الإتجاه المعيارى لا ينحصر فى المثالية إنما تقاطع مع مجموعة مدارس آخرى منها القانونية([6]).

هـ- تُعد النظرية المثالية إحدى الاتجاهات المعيارية فى تحليل العلاقات الدولية فإن دراسة العلاقات بهذا المنهج قديمة قدم العلاقات ويعتبرون الفكر الإنسانى هو الحكم الأعلى فى القضايا الأخلاقية فلقد ركزت المثالية على دور الضمير العالمى فى ضبط العلاقات الدولية, هذا وقد كما قامت المدرسة القانونية على الفصل بين الفكر والواقع حيث ركزت بصورة شديدة على السياسة الفعلية المتمثلة فى (القانون العام – الدستور – الوثائق) ومن ثم أصبح التحليل الذى ينصب على البناء القانونى الرسمى هو النمط السائد من الإمبريقية([7])، فإلى أى مدى نجحت النظرية المثالية أو القانونية فى معالجتها لقضايا العلاقات الدولية.

---

[6] Walker, R. B. J. (1993), Inside/Outside: International Relations as Political Theory. Cambridge: Cambridge University Press.

- بوتومور، توم ،(1998)، مدرسة فرانكفورت ، ترجمة سعد هجرس ، الطبعة الأولى ، دار أويا – لبنان ،ص 54.

[7] الإمبريقية أو الفلسفة التجريبية فهى توجه فلسفى يؤمن بأن كامل المعرفة الإنسانية تأتى بشكل رئيسى عن طريق الحواس والخبرة.

-Wendt, Alexander, and Duvall, Raymond (1989), "Institutions and International Order." In James N. Rosenau and Ernst-Otto Czempiel (eds.). Global Changes and Theoretical Challenges. Lexington, MA: Lexington Books, pp.51-73.

2- تقييم النظرية المعيارية فى مواجهة الواقع الدولي:

سوف يتطرق البحث فى هذا الجزء لتقييم الإتجاه التنظيرى المعيارى بذكر أهم الانتقادات التى وجهت له كأول محاولة تنظيرية فى العلاقات الدولية والتى لا تخرج عن إنتقادات المدرسة (المثالية – القانونية) ومع ذلك يمكن ذكر مايلى ([8]):

أ- تحدثت المعيارية عن مفهوم الإلزام المعيارى الدولى فى العلاقات الدولية فى حين لا نكاد نجد شيئاً من هذا القبيل على مستوى الممارسة فى العلاقات الدولية كما لا يوجد بقاموس السياسة الدولية مصطلح المصالح العالمية تتعامل الفواعل الدولية على أساسه كما طُرح إنما المصلحة الوطنية والتى تتحول تدريجيا لمصالح متعددة الجنسيات لا تعطى أى إعتبار للمصلحة العالمية.

ب- إعطاء دور كبير للأخلاق فى العلاقات الدولية وهذا عكس ما نلحظه من خلال الممارسة الدولية كما تبنت الاتجاه المحافظ, فقد كانت بؤرة التحليل وهدفه تركز على قضية استمرار ودوام النظم السياسية وعدم تغيرها عبر التاريخ ليس التغير أو الإنقلاب ولذلك نُظر لالنظم غير الديمقراطية مثل

[8] عدنان، حسين السيد ، مرجع سابق ، ص88.

-Sakamoto, Yoshikazu (1994), "A Perspective on the Changing World Order: A Conceptual Prelude." In Yoshikazu Sakamoto (ed.). Global Transformation: Challenges to the State System. Tokyo: United Nations University Press, pp.15-56.

روسيا بعد الثورة الشيوعية على أنها منحرفة عن النسق وليست نظام مستقل فى ذاته.

جـ- التضييق الشديد فى إطار المقارنة والاقتصار على النظم الغربية حيث تم التركيز على ثلاث حكومات فى أوروبا هى (بريطانيا – فرنسا – ألمانيا) بالإضافة إلى الولايات المتحدة وقدمت تبريرات عديدة لهذا التوجه منها أن, تلك الدول هى الدول الأكثر أهمية وفجوة المعلومات الناتجة عن عدم التواصل مع بقية العالم وذلك نتيجة لعدم قناعة الباحث الغربى بنظم العالم غير الغربى التى يبدو فى ظاهرها أنها تفتقد الأبنية الحكومية الرسمية ([9]).

د- فقدان الحساسية المنهجية، فقد اعتمد الإتجاه المعيارى على أسس المحدودية المنهجية كذلك إفتقدت الجانب النظرى, حيث لم ينصرف الإهتمام إلى الوصول لتعميمات امبريقية فالتنظير كان معظمه معيارى نابع من أسس (القانون الطبيعى – الأخلاق – الفلسفة) ومنصباً على كيفية تكوين المواطن الصالح الذى يعرف حقوقه وواجباته.

هـ- غلبة الطابع المؤسسى القانونى، حيث يكون الاهتمام فقط بالمؤسسات الرسمية والمحددات القانونية والدستورية لها ([10]).

---

9 Koslowski, Rey, and Friedrich Kratochwil (1994), “Understanding Change in International Politics: The Soviet Empire’s Demise and the International System,” International Organization 48:2, pp.215- 248.

10 Keohane, Robert O. (1998), “International Institutions: Can Interdependence Work?” Foreign Policy, 110 (Spring).

3- إيجابيات الفكر المعيارى

تجدر الإشارة أنه رغم سيطرة الاتجاه الواقعى على العلاقات الدولية مند اندلاع الحرب العالمية الثانية إلا أن هذا لا يعنى نهاية الفكر المعيارى بل استمر فى (الاتجاه الوظيفى بشقيه الأصلى والجديد – الاتجاه الليبرالى وخاصة النيوليبرالية المؤسساتية) وفيما يلى أبرز إيجابيات هذا الفكر([11]):

أ- برزت فى أربعينات القرن الماضى الوظيفية الأصلية ومن أبرز مفكريها (دافيد ميترانى) الذى إشترك مع الفكر المعيارى فى ضرورة خلق حكومة عالمية باعتبار أن الدول غير قادرة على تلبية مطالب حل النزاعات والصراعات وذلك بإعادة النظر فى العلاقات (الاقتصادية – الاجتماعية) بين الدول.

ب- حملت النظرية الليبرالية فى طياتها ولو بدرجة اقل كثير من الأفكار المعيارية حين أكدت على وجود أشكال تعاون على المستوى الدولى مثل (السلام الديمقراطى – الاعتماد المتبادل), فالمعايير الليبرالية قائمة على افتراض أن الدول الديمقراطية يمكن التنبؤ بسلوكها وتدخل فى علاقة قائمة على السلام والتعاون والتكامل بينما الدول غير الديمقراطية يتعذر التنبؤ بسلوكها مما يقلل من فرص السلام.

ج- تؤكد الليبرالية على فكرة الأمن الجماعى التى ركزت عليها المثالية كما ركزت فى هذا الصدد الليبرالية المؤسساتية على الطريقة التى يمكن من خلالها للمؤسسات الدولية أن تؤثر فى سلوك الدول بنشر أنماط من السلوك المحكوم

---

[11] Mearsheimer, John J. (1990), "Back to the Future: Instability in Europe after the Cold War," International Security 15:1, pp.5-56.

- توفيق، سعد حقى (2000)، مبادئ العلاقات الدولية ، الطبعة الأولى ، دار وائل للنشر ، عمان ، ص124.

بقوانين معينة تتيح (تخفيض تكاليف الصفقات التى تبرمها – تمدها بالمعلومات – تخفض احتمالية لجوء بعض الدول لإستخدام أساليب غير مشروعة).

د- برز جيل آخر من المثاليين بعد نهاية الحرب الباردة والذين عرفوا بالمثاليين الجدد وكان ذلك بمثابة إعادة إحياء الفكر المعيارى بصفة مباشرة والذين يعتقدون بأن السلام والعدالة هما نتاج تصميم مقصود وأن العولمة قد زادت من ضخامة هذه المهمة ويؤكدون أن تشجيع أو إكراه الدول غير الليبرالية أن تصبح أكثر ديمقراطية ليس سوى جزء مما تدعو الحاجة إليه لإيجاد نظام عالمي ليبرالى حقيقى وفى هذا الصدد يقترحون إصلاح الأمم المتحدة أو استبدالها ببرلمان عالمى يخضع للمساءلة ([12]).

هـ- أكدت النظريات الحديثة على ربط العلاقات الدولية بمناظرات موازية بشأن النظرية الاجتماعية والسياسية وتقوم بتغيير موضع حقوق الإنسان والتدخل لأسباب إنسانية والهموم الايكولوچية والبيئية ونقله بعيداً عن المنطقة المحيطية التى إحتلتها خلال فترة التمحور حول الدولة فى النظرية المعيارية المعاصرة وهى الحوار بين (الطائفيين – الكوزموبوليتانيين)([13]) ويكمن الفرق الأساسى على فحص طبيعة التزام البشر بعضهم إزاء بعض وسبر المعنى الأخلاقى للدولة المستقلة, حيث شهدت الساحة الدولية خلال المراحل الأخيرة من إحتضار الحرب الباردة إحياءا للقضايا المعيارية لدرجة أنها عادت الآن لتحتل

---

[12] Clark, Ian (1997),Globalization and Fragmentation: International Relations in the 20th Century. Oxford: Oxford University Press,pp.21-24.

[13] الكوزموبوليتية هى أيديولوجية ا تقول إن جميع البشر ينتمون لمجتمع واحد على أساس الأخلاق المشتركة وتقترح إنشاء حكومة عالمية.

مكاناً مركزياً فى العالم ويعود هذا إلى ما أوحت به أحداث الواقع سيما حرب الخليج وإثارة مسائل معيارية حول الحرب العادلة وأخلاقيات التدخل.

ثانيا :البعد المعيارى لأزمة كوفيد 19 فى مقاربات العلاقات الدولية

منذ توقيع معاهدة وستفاليا عام 1648 حُكِمت العلاقات الدولية بالمنظومة الوستفالية بعدما وضعت أسس عصر جديد فى العلاقات الدولية مبنى على مبدأ سيادة الدول التى باتت الفاعل الرئيس وليس الوحيد فى العلاقات الدولية لكن هذه المنظومة تعرّضت لمراجعة جذرية بعد بروز ظاهرة العولمة ولعل ما خلفه وباء كوفيد 19 من آثار قد يفتح المجال لمراجعة قيم ومبادئ كثيرة تحكم العلاقات الدولية على المديين المتوسط والبعيد, وبدأت تساؤلات تطرح مع إنتشار كوفيد 19 وما خلفه من إصابات ووفيات على مستوى العالم فى الدول (الصغيرة والكبيرة – النامية والمتقدّمة) وبالرجوع لتصريحات أطلقها (هنرى كيسنجر) وزير الخارجية الأمريكى الأسبق أن "وباء كوفيد 19 سوف يغير النظام العالمى للأبد فقد تكون الأضرار التى ألحقها بالصحة مؤقتة، إلا أن الاضطرابات التى ألحقها قد تستمر لأجيال عديدة" ورأى أنه لا يمكن لأى دولة أن تتغلب على الفيروس بجهد وطنى محض من خلال برنامج تعاون دولى لمواجهة الأزمة ([14]).

[14] كيسينجر، هنيرى ، صحيفة وول ستريت چورنال – نيويورك – الجمعة 3 أبريل 2020.

-Buzan, Barry, and R. J. Barry Jones (eds.) (1981). Change and the Study of International Relations: The Evaded Dimension. London: Frances Pinter .

-Clapham, Christopher (1998). “Degrees of Statehood,” Review of International Studies 24:2 (April), pp.143-158.

-سِجال تأثير الأوبئة على العلاقات الدولية

تتسم ظاهرة الصراع فى العلاقات الدولية بالتعقيد لذا يصبح تحليل موضوع أخلقة العلاقات الدولية أكثر تعقيداً فى تصور أبرز مقاربات العلاقات الدولية وأنه فى حالة الطبيعة التى يعرفها (هوبز) على أنها "الحالة التى تتميز بغياب القانون" وأن مفاهيم الصواب والخطأ ليس لها مكان وهو ما فسر فرضية المؤامرة الأمريكية التى تبنتها الصين بأن فيروس كوفيد 19 كان حرب بيولوچية إستُخدمت لضرب إقتصادها وهو نسبياً التحليل الذى تبنته بعض الدول والمحللين رغم الإتهام المعاكس من قبل الولايات المتحدة أن الفيروس مُفتعل من قبل الصين لنفس السبب وقد تكون دولة أخرى السبب([15]).

يرى بعض المحللين أن نظريات المؤامرة سممت أجواء التعاون بين الولايات المتحدة والصين فى التصدى لتفشى المرض والتى ربما كانت ستوفر فرصة لإعادة تحسين العلاقة المتوترة وتبديد المفاهيم الخاطئة وتقليل الأضرار التى لحقت بالعلاقات ووجب على البلدين التفكير فى توسيع التبادلات العسكرية بينهما للقيام بأعمال الدفاع البيولوجى التى ترعاها الحكومة الصينية كما ينبغى على الولايات المتحدة إستكشاف قنوات لمساعدة الصين على تحسين السلامة الحيوية فى

[15] Holsti, K. J. (1994). "The Post-Cold War 'Settlement' in Comparative Perspective." In Douglas T. Stuart and Stephen F. Szabo (eds.). Discord and Collaboration in a New Europe: Essays in Honor of Arnold Wolfers. Washington, D.C.: The Paul H. Nitze School of Advanced International Studies, pp.37-70.

- بوتانى ، حسام ، (2020)، ديناميات متجددة لرسم نظام عالمى جديد ، مركز صنع السياسات للدراسات الدولية والاستراتيچية - إسطنبول ،ص39.

المختبرات وهنا يُطرح السؤال هل مثل هذا التعاون المنشود سيتحقق مستقبلاً بين القوتين فى ظل التنافس على قيادة العالم عبر خلق نظام دولى ثنائى قائم على التعاون المزدوج وليس الصراع؟([16])

تظهر فى هذا الصدد أهمية خاصة للقيم لأنها تساهم فى تكوين الهويات وبالتالى فى تكوين وضع الممثلين الفاعلين فى المشهد الدولى علاوة على ذلك يمكن لهذه القيم عندما يتم تقاسمها أن تؤدى لتحالفات حول القضايا التى ينظر إليها بطريقة مشتركة على ضوء تس ماذا يجب أن نفعل؟ فكلمة (ماذا) هى المعيار الذى يجب أن يتبعه الأفراد فى ظروف متشابهة وكلمة (يجب) توضح ضرورة الالتزام بالقاعدة وإلا يتحمل الناس النتائج وهو ما جسدته الصين كإدارة موفقة فى التعامل مع إنتشار الفيروس من خلال التطور المعرفى والتقنى وفرض الالتزام بحماية الشعب الصينى أولاً ثم العالم بما يعكس تعزيز البعد الإنسانى الآسيوى.

كان يتم التنظير للأوبئة المعدية فى إطار المسائل العابرة للحدود القومية التى فرضتها العولمة الإقتصادية وأدرجتها ضمن التهديدات الأمنية والبيولوچية التى تواجه الدولة، هذا ولم يتنبّه منظرو العلاقات الدولية على نحو كبير إلى قدرة تلك الأوبئة على التأثير المباشر فى بنية النظام الدولى وأن الجهاز المفاهيمى فى نظريات العلاقات الدولية الوضعية وما بعد الوضعية قد تعامل مع الأوبئة المعدية

16 Kroenig, Matthew ,(2020),The Return of Great Power Rivalry: Democracy Versus Autocracy from the Ancient World to the U.S. and China, Oxford University Press.

فى إطار التهديدات التى من الممكن السيطرة عليها؛ كلٌ وفق فرضياته الأساسية وتصوراته للنظام الدولى القائم ([17]).

يبرُز هنا إفتراض مفاده أنه لا يمكن الجزم بأن الفيروس المستجد سيُغير بنية النظام الدولى فى المدى المنظور فإن كان الوباء فى الحالة التى نحن بصددها (جائحة كوفيد 19) عارضاً ولا يحمل فى طياته القدرة على تغيير توزيع القوة الحالية فى النظام الدولى فإن هذا العارض قد يفتح حوار فى حقل العلاقات والتفاعلات الدولية حول دور الأوبئة المعدية سريعة الإنتقال فى التأثير فى بنية النظام الدولى وقدرته على تكثيف العوامل التى قد تُسهم فى تغيير بنية النظام الدولى سواء كان من الناحية (الإقتصادية / الإجتماعية / السياسية) فى مناطق مختلفة من العالم([18]).

تجدر الإشارة أن التوازنات الدولية قبل الوباء وإنتشاره أشارت إلى بداية حدوث تغييرأو تغير فى النظام الدولى وكأنه يتحرك نحو شكل من أشكال تعدد الأقطاب فى ظل صعود قوى دولية مثل الصين وروسيا والاتحاد الأوروبى تتعارض مصالحها فى مناطق مختلفة من العالم فى ظل سعى الولايات المتحدة الدؤوب

---

[17] Devlin, Hannah and Boseley,Sarah, “What is Coronavirus—And What is the Mortality Rate?,” Guardian, April 1, 2020, https:// www.theguardian.com/world/2020/mar/21/ what-is-coronavirus-mortality-rate-covid-19.

[18] Legrain, Philippe,(March 12, 2020), “The Coronavirus Is Killing Globalization As We Know It,” Foreign Policy, https:// foreignpolicy.com/2020/03/12/coro - navirus-killing-globalization-national - ism-protectionism-trump/

للحيلولة دون صعود قوى منافسة لها فى المدى المنظور وبناءً عليه ذلك قد تطرح جائحة أزمة كوفيد 19 مجموعة من الأسئلة حول شكل النظام الدولى وطبيعته, فهل ستدخل الأوبئة بوصفها متغيرات جديدة فى فهم تطور الظواهر الدولية وتُسهم فى تحديد الكيفية التى سيتطور بها هذا النظام الدولى الجديد؟

ويرى بعض الأكاديميين أن إحدى النتائج التى قد تتمخض عن إنتشار هذا الوباء هى فتح الباب أمام حوار جديد ضمن حوارات العلاقات الدولية بالتزامن مع عودة دور الدولة باعتبارها الفاعل الأساسى فى النظام الدولى إضافة إلى نقد حوارات العولمة فى نظريات العلاقات الدولية، وأن التنافس بين الفواعل فى النظام الدولى على إختلافها من أجل تعظيم نفوذها وسيطرتها سيكون عبر الإستخدام الممنهج للقوة بكل أشكالها (الصلبة – الناعمة – الذكية) فقد شهد العالم فى الأونة الأخيرة إنفاق هائل فى التسليح وفى تكنولوجيا الرقابة والتحكم التى ساهمت فى تطويرها ثورة التكنولوچيا ولم تأخذ تلك الفواعل فى الحسبان من جهة رحلتها نحو تعظيم مصالحها ونفوذها وضمان بقائها فى النظام الدولى الآخذ فى التحول بعد انتهاء الحرب الباردة([19]).

كشفت أزمة كوفيد 19 عن عارض غير مرئى عابر للحدود القومية ويؤثر فى السياسات الدولية ألا وهو الوباء المعدى, الذى تسبب فى تغيير فى النشاط السياسى الإقتصادى, هذا وفى خِضمّ جائحة كوفيد 19 ذات القدرة على وضع القيود على التفاعل الدولى قد نشهد حركة تنظيرية فى حقل العلاقات الدولية تركز على

[19] Browne, Andrew, (March 21, 2020), "The Coronavirus Might Kill Globalization," Bloomberg , https://www.bloomberg.com/news/newsletters/2020-03-21/ the-coronavirus-might-kill-globaliza – tion-bloomberg-new-economy.

البحث فى متغير جديد متمثل فى الوباء المعدى الذى يحمل فى طياته تأثير فى دور وطبيعة الفواعل (الدولية – من غير الدول) التى تنشط فى المجالات (الإقتصادية – السياسية – الثقافية) من قبيل الشركات المتعددة الجنسيات والمنظمات (الحقوقية – المهنية – الثقافية) وتلك التى تنشط فى المجالات العسكرية مثل (إمتلاك السلاح / المتاجرة فيه / التهديد باستخدامه) من قبيل عصابات الجريمة والاتجار بالبشر وجماعات التمرد.

ثالثا:- إنعكاسات جائحة كوفيد 19 على العلاقات الدولية

تجدر الإشارة الى إن النظام العالمى ليس مجرد هيكل قوة سياسية (توازن القوى العالمية) لكنه أيضاً يحوى هياكل (إقتصادية – إجتماعية – منظومة قيم) ومن ثَمَّ فإن الحديث عن التحول فى هذا النظام ليس مجرد التغير فى بعض مكوناته بل يعنى تحول على الصعيد الكلى لهياكل النظام, الأمر الذى أفضى لظهور أزمة عالمية ثلاثية الأبعاد مع إنتشار كوفيد 19 هى أزمة على مستوى (القيادة – النظام – القيم) كالآتى([20]):

---

[20] Cimmino, Jeffrey, Kroenig,Matthew, and Pavel, Barry, (June 1, 2020)Taking Stock: Where Are Geopolitics Headed in the COVID-19 Era?, Atlantic Council, https://www.atlanticcouncil.org/in-depthresearch-reports/issue-brief/taking-stock-whereare-geopolitics-headed-in-the-covid-19-era/.

انظر كذلك : باخوش، مصطفى ، إنعكاسات أزمة كورونا الحديثة فى العلوم السياسية ، مركز بن خلدون – قطر – ص83.

1- مستوى القيادة

طرحت جائحة كوفيد 19 وجود أزمة فى قيادة النظام العالمى والتى يمكن تفنيدها من خلال ثلاثة منظورات حيث يؤكد المنظور الأول إستمرار تفوق الدور الأمريكى وقدرته على فرض نفوذه مع استمرار إتهام السلوك الصينى بالمسئولية عن الأزمة الراهنة، بينما يتنبأ المنظور الثانى باحتمالية وجود نقطة تحول فى توازن القوى العالمية عندما طرحت الأزمة الراهنة تحدى أمام مبررات إستمرار قيادة الغرب للنظام الدولى بعدما أحرزه من إخفاقات واختراق للمنظومة القيمية التى شكلها ودعا إليها وفرضها بالقوة فى بعض الأحيان فى مقابل سعى الصين لاحتلال مكانة سياسية عالميا، أما المظور الثالث يرى أن الولايات المتحدة ستظل قوة سائدة لكن أكثر ضعفا فى قيادتها للنظام العالمى ومن الممكن أن ينتج هذا المنظور نظام دولى ثنائى القطبية ولكنه سيكون رخو للدرجة التى يمكن أن يُطلق عليه متعدد الأقطاب أو إذا استمرت شوكة بعض القوى الإقليمية فى تحديها لهيمنة القوى الكبرى والتى يُطلق عليها دول مارقة فإن ذلك سيؤدى لفوضى عارمة فى النظام الدولى تجعله عالم بلا أقطاب([21]).

2- مستوى النظام

كشفت ازمه كوفيد 19 عن ضعف مؤسسات النظام العالمى الإقليمية والدولية حيث يرتبط بأزمة النظام فشل النموذج التنموى الذى تدعو إليه المؤسسات

[21] Miller, Paul D. , (December 2019),Leading the Free World: How America Benefits, Atlantic Council. https://www.atlanticcouncil.org/wp-content/uploads/2020/02/Leading-the-free-world-3rd.pdf.

- Kaplan, Robert D. (1994). “The Coming Anarchy,” The Atlantic Monthly, February, pp.44-76.

الإقتصادية والمالية الدولية (البنك – صندوق النقد) الدوليين وما يُعرف بتوافق واشنطن والذى يقضي بإزالة الدعم المُوجّه للطبقات الدنيا ومما لا شك فيه أن أحد أشكال الدعم هو إقامة نظام رعاية صحية شامل لمواطنى الدولة مما يجعل هذه المنظمات مسئولة بشكل مباشر عن الانتشار السريع لفيروس كوفيد 19 والتردى الموجود فى أنظمة الرعاية الصحية فالحديث عن بناء منظور جديد للاقتصاد السياسى العالمى وإنشاء نماذج تنموية جديدة أكثر استدامة تراعى الخصوصية (الثقافية – الحضارية – البشرية – المادية – البيئية) لكل منطقة وعلى المجتمع الدولى فى عالم ما بعد كوفيد 19 ألا يتسرع فى إطلاق (مصطلح عالمية) قبل دراسة مدققة.

3- المعضلة القيمية للنظام الدولى.

تجلّت أزمة القيم فى مواقف بعض الدول الغربية عندما تم إعطاء الأولوية للشباب وصغار السن فى تلقى العلاج من الفيروس وإبقاء كبار السن على كراسى الانتظار وكذا تأخر الدول الرأسمالية فى فرض إجراءات الحجر الصحى كما أن قيمة الفردية التى يتمتع بها النظام الغربى كانت هى أهم أسباب تفشي الوباء بها حيث رفض الأفراد هنالك الانصياع إلى قرارات السلطات بالحجر الصحى ومقاومة التحكم السلطوى ولم ينتهِ الأمر عند هذا الحد فقد رأينا الحكومة الفيدرالية الأمريكية عانت من عدم القدرة على فرض سلطاتها على حكومات الولايات مما أدى لعدم وجود خطة شاملة لمواجهة تفشى الوباء, هذا وتدفعنا أزمة

كوفيد 19 لنحت مفاهيم جديدة لاستخدامها فكراً وحركة وتكون بديلة للمفاهيم السائدة لدى الوحدات الدولية فى تعاملها مع بعضها البعض([22]).

رابعا : تأثير أزمة كوفيد 19 على العلاقات الدولية

1- التأثير على التفاعلات الدولية:

كشفت الجائحة العالمية الضَعف الذى يعانيه النظام الدولى فى مواجهة الأزمات حيث أفرز هذا الموضوع العديد من الفرضيات حول مآل التوازنات الدولية فى ظل كوفيد 19 فهناك من أيد فرضية إنتقال مركز القوة من الغرب إلى دول آسيوية بسبب قدرتها على النجاح بالسيطرة على الفيروس من خلال نهج إستراتيجية فعالة فى التعامل مع الأزمة وبالتالى فإن القوة الآسيوية وعلى رأسها الصين مصممة على اكتساب مركزية جديدة فى نظام عالمى مُنظم تقليدياً لمحاكاة دول حلف الناتو حين أثبتت قدرتها على الضبط الإجتماعى عبر الاعتماد على طرق رقمية مبتكرة ومن جهة التوازنات الدولية قامت الصين بمحاولة تقوية نفوذها الاستراتيجي من خلال الإعتماد على ما سُمى بدبلوماسية الكمامات من خلال تقديم مساعدات طبية لدول مختلفة ([23]).

---

[22] Mearsheimer, John J (2019) 'Bound to fail: the rise and fall of the liberal international order', International Security, 43:4, pp.7–50

[23] Wu, Joseph T, Kathy Leung, Mary Bushman, Nishant Kishore, Rene Niehus, Pablo M de Salazar, Benjamin J Cowling, M arc Lipsitch, and Gabriel M Leung (2020) 'Estimating clinical severity of COVID-19 from the transmission dynamics in Wuhan, China', Nature Medicine, 26:4, 506–10

2- التأثير على مسارات العولمة:

مثّل التحول الذى فرضته كوفيد 19 تحدى واختبار لظاهرة العولمة التى إعتمدت على سياسة الانفتاح على العالم حيث تحولت إلى مواجهة تداعيات سياسة الدول لمواجهة الجائحة بالإنغلاق والعزلة ووقف حركة التبادلات فى مختلف المجالات سيما التجارية مما أدى لضعف القوى المحركة للعولمة فى مواجهة الأزمات والتكيف معها بحيث يصبح الحل هو وقف وتحجيم التدفقات العابرة للحدود الأمر الذى فرض إعادة الاعتبار للحدود الوطنية والاعتماد على الكفاءة والإنتاجات المحلية ومن ثم إعادة تشكيل الجغرافية السياسية بحيث ستتباطأ العولمة فى جميع أنحاء العالم لكن ستغير الاتجاه على المستويات الإقليمية حيث ستزيد الصين من جهودهما لقيادة العولمة نحو الإقليمية وأن مركزية الصين فى الإنتعاش الإقتصادى لشرق وجنوب شرق آسيا فى ما بعد كوفيد 19 باتت واضحة على الرغم من القلق المتزايد لبعض دول المنطقة من تزايد ثقة الصين فى وضع قواعد النظام الجيوسياسى الجديد([24]).

3- التأثير على مستوى المؤسسات الدولية والإقليمية:

كشفت ازمة كوفيد 19 عن مدى الضعف والقصور الذى تعانى منه المؤسسات الدولية إذ شكلت الأزمة إختبار لأبرز مؤسسة دولية (الأُمم المتحدة) من أجل

-Minevich, Mark, Can China use coronavirus to pave the way to a new world order - accessible via bit.ly/3b4Nngv.

[24] Farrell, Henry and Newman, Abraham,(March 16, 2020) "Will the Coronavirus End Globalization As We Knew It?" Foreign Affairs, https://www.foreignaffairs. com/articles/2020-03-16/will-corona - virus-end-globalization-we-know-it.

قياس مدى فاعلية دورها فى إدارة الأزمات الدولية ومدى إستيعابها لحجم المخاطر المستجدة التى تواجه المنظومة الكونية إلا إن منظمة الصحة العالمية فشلت بسبب عدم استجابتها السريعة للأزمة العالمية وظهر للعيان مدى التردد والتناقض فى تقديم البيانات واتخاذ القرارات من لدن المنظمة بل وتقديم معلومات خاطئة حول الإرشادات التى يجب على الدول الالتزام بها وكذا فيما يخص التجارب الخاصة ببعض البروتوكلات العلاجية، كما أظهرت الأزمة أيضاً تراجع دور بعض التكتلات الإقليمية كالاتحاد الأوروبى كقوة توازن فى النظام الدولى حين اتسم تعامل دول هذا التكتل الإقليمى بالفردية والانعزالية فى ظل الأزمة وواجهت أوروبا تحدياً كبيراً وخاصة مع تأثير أزمة بريكست مما أظهر وضع الاتحاد الأوروبى بعدم التزام دوله بمبدأ التضامن كما أبان عن ضعف أدوار المفوضية الأوروبية التى عجزت عن القيام بدور تنسيقى بين دوله ([25]).

خامسا : جدوى التكتلات الإقليمية والدولية فى التعامل مع أزمة كوفيد 19

شهد العالم أحداث كبرى مثل (الحربين العالميتين – إنتهاء الحرب الباردة – أحداث 11 سبتمبر 2011) وتعد أزمه فيروس كوفيد 19 من أهم تلك الأحداث

[25] Skaluba, Christopher, and Brzezinski, Ian, (March 30, 2020) "Coronavirus and Transatlantic Security: Implications for Defense Planning," New Atlanticist, , https://atlanticcouncil.org/blogs/new-atlanticist/coronavirus-and-transatlantic-security-implications-for-defense-planning/;

- Trofimov, Yaroslav (2020) 'Democracy, dictatorship, disease: the west takes its turn with coronavirus', Wall Street Journal, New York.

التى شكلت تأثير كبير على العلاقات الدولية بسبب تداعياتها (السياسية – الاقتصادية – الاجتماعية) وينعكس تأثيرها من عدة زوايا **كالآتى:**

إستعادة الدولة الوطنية قوتها وتأثيرها كفاعل رئيس فى التفاعلات الخارجية والداخلية بعدما تراجع دورها فى العقود الأخيرة لصالح تأثير الشركات متعددة الجنسية كمثال والتى كان لها الدور الرئيسى فى رسم السياسات العالمية سيما المجال الإقتصادى وقد أثبتت الأزمة فشل تلك الشركات فى إحتواء التداعيات السلبية لكوفيد 19 مقابل تزايد دور الدولة الوطنية فى إتخاذ الإجراءات الاحترازية والاقتصادية للتقليل من الآثار السلبية وحماية المواطنين حيث لم تعد الدولة الحارسة وفقاً للنظرية النيوليبرالية التى تقصر وظائفها على (تطبيق القانون – الدفاع – السياسة الخارجية) وهو ما عكسه نجاح النموذج الصينى فى التعامل مع الأزمة مقابل تعثر النموذج الغربى بسبب ضعف دور الدولة فيه ([26]).

وقد تراجع دور التكتلات الدولية الكبرى مثل الإتحاد الأوروبى والذى أثبت عجزه عن مواجهة خطر كوفيد 19 خاصة بعد إتهام دول الأوروبية مثل إيطاليا وإسبانيا الأكثر تضرراً من الفيروس له بالفشل فى مساعدتها وغياب وجود سياسة تضامن جماعية لمواجهة التداعيات الإقتصادية حيث رفضت بعض دول الإتحاد مثل ألمانيا وهولندا مفهوم المسئولية الجماعية فى تحمل أعباء أزمة كوفيد 19 وهذا من شأنه أن يؤدى لتراجع التوجه نحو الوحدة والاندماج لصالح تزايد الاتجاه نحو

[26] Nye, Joseph S (January/February, 2017) 'Will the liberal order survive? The history of an idea', Foreign Affairs, 96:1

إستعادة الدولة الوطنية وسيادتها وهو ما كان سبب فى إنسحاب بريطانيا من الإتحاد التى شعرت بفقدان سيادتها حال إستمرارها فى الاتحاد([27]).

كذلك تراجع دور الفاعلين من غير الدول كالميليشيات والحركات المسلحة (داعش – القاعدة) التى تصاعد دورها خلال العقد الماضى بسبب التغيرات السياسية التى شهدها العالم والتى شكلت تحدياً للدولة الوطنية وإضعاف مؤسساتها غير أن تلك الميليشيات وقفت عاجزة عن مواجهة خطر الفيروس وتوارت لصالح دور الدولة فى اتخاذ إجراءات الحجر الصحى وتوفير السلع وغيرها وهو ما يؤكد أنه أصبح للجيوش الوطنية أدوار غير الأدوار العسكرية كالدور الاقتصادى فى توفير السلع والخدمات.

ومما هو جدير بالذكر ان أزمة كوفيد 19 أدت إلى تأثيرات سلبية فى العلاقات الدولية والسياسة الخارجية للدول حيث تراجعت مفاهيم مثل (التضامن الدولى – المسئولية الجماعية – العمل لمشترك) والتى من المفترض أن تكون الأساس لمواجهة جائحة عالمية تهدد السلم والأمن الدوليين لصالح مفهوم الأنانية الدولية خاصة من جانب الدول الكبرى والتى دخلت فى تسابق لإختطاف شحنات الأدوية والمعدات الطبية وتبادل الإتهامات حول المسئولية عن الفيروس مثلما حدث بين الولايات المتحدة والصين كذلك تراجعت القوى العظمى عن مسئولياتها العالمية خاصة الولايات المتحدة التى هددت بالإنسحاب من منظمة الصحة العالمية ووقف تمويلها بسبب ما إعتبره الرئيس ترامب آنذاك إنحياز المنظمة للصين.

---

[27] The United Nations University Institute on Comparative Regional Integration Studies – Will the COVID-19 Crisis Herald the End of Neoliberal Globalization and the European Union's Free Trade Doctrine? – Belgium – Article.

أفضت أزمة كوفيد 19 إلى إحتمالية تغيير واضح فى هيكل النظام الدولى حيث ستسرع من التحول من نظام الأحادية القطبية السائد منذ إنتهاء الحرب الباردة لنظام دولى متعدد الأقطاب تكون فيه لروسيا والصين أدوار بارزة فى النظام الدولى على الصعيد السياسى والاقتصادى بجانب الولايات المتحدة وهو ما قد يُسهم فى تحقيق التوازن الذى يدعم الاستقرار فى العلاقات الدولية كما ستؤدى أزمة كوفيد 19 لظهور نظريات جديدة فى تفسير وتحليل العلاقات الدولية وفق ما أفرزته الأزمة من تفاعلات جديدة وتصاعد أدوار الدولة الوطنية وتراجع أدوار الفاعلين الآخرين والنظر فى جدوى التكتلات الدولية والإقليمية وكذلك مراجعة وظائف المنظمات الدولية خاصة فى التعامل مع التحديات والأزمات ([28]).

سادسا : مستقبل العلاقات الدولية ما بعد أزمة كوفيد 19 (سيناريوهات ما بعد الجائحة)

أثرت أزمة كوفيد 19 على المجتمعات والاقتصادات في جميع أنحاء العالم وستعيد تشكيل عالمنا بشكل دائم مع استمراره في الظهور. في حين أن تداعيات الأزمة تضخم المخاطر المألوفة وتخلق مخاطر جديدة ، فإن التغيير على هذا النطاق يخلق أيضا فرصا جديدة لإدارة التحديات النظامية ، وطرقا لإعادة البناء بشكل أفضل.و يمكننا هنا رصد لعده سيناريوهات للمرحله القادمة ([29])

[28] Zinko, Micah , The Coronavirus is the Worst Intelligence Failure in US History: foreignpolicy.com/2020/03/25.

[29] Rapoza, Kenneth, (April 3, 2020), “The Post-Coronavirus World May Be the End of Globalization,” Forbes, https://www.forbes.com/

1- السيناريو الأول (إستمرار نظام أحادى القطبية بقيادة أمريكية).

يؤكد هذا السيناريو إستمرار التفوق الأمريكى داخل النظام الدولى فى ظل قدرته على فرض نفوذه وبسط سيطرته بفضل نظامها الاقتصادى كما أن نمط الحكم الأمريكى يتمتع بخاصية التصحيح التلقائى التى قد تمكنه من التكيف والتعايش مع الأزمات وبالتالى يفرض أنماطا جديدة من السلوك تجعله دائماً على رأس الهرم العالمى فالحوكمة الأمريكية تُبشر دوماً بأن النظام العالمى الذى تتربع على قمته الولايات المتحدة سيستمر كما هو خلال العقد الثالث من الألفية الثالثة على أقل تقدير وأن ما يحدث لن يجعل الصين أو روسيا تحتل مكانة الولايات المتحدة فى النظام العالمى القائم فصحيح أن المركزية الأمريكية شهدت بعض الهزات منذ أحداث 11 سبتمبر 2001 لكن ذلك لا يعنى نهاية المركزية الأمريكية بسبب ازمه كوفيد 19.

2- السيناريو الثانى (نظام ثنائى القطب بقيادة كل من الولايات المتحدة و الصين).

يضع هذا السيناريو إحتمالية وجود نقطة تحول فى النظام العالمى وفى الدور الأمريكى داخل النسق الدولى ومن ثم تأثير ذلك على توازن القوى العالمية وذلك راجع إلى ما أحرزه الغرب من إخفاقات واختراق للمنظومة القيمية التى شكّلها ودعا إليها حيث يرى البعض أن الولايات المتحدة لن يكون بإمكانها إبقاء الوضع على ما كان عليه ذلك لأن جائحة كوفيد 19 تجعل من إعادة رسم معالم النظام

---

sites/kenrapoza/2020/04/03/thepost-coronavirus-world-may-be-theend-of-globalization/#726d2d167e66;

- انظر كذلك: كيف سيصبح النظام العالمى السياسى والاقتصادى بعد كورونا؟ – العربي الجديد – 2020 – https://bit.ly/2ZrDk17.

الجديد حاجة حتمية ومن المتوقع أن النظام العالمى بعد الجائحة سيقوده قطبان هما (الولايات المتحدة – الصين) ولكنه لن يكون بصرامة الصراع إبان الحرب الباردة بل ستكون هناك مرونة وسوف تستغل أطراف أخرى وعلى رأسها الاتحاد الأوروبى وروسيا تحول هذا النظام إلى قطبى مرن وذلك فى سبيل تعزيز أدورهم داخل المنظومة العالمية.

3- السيناريو الثالث (التضامن والتعاون الدولي في ظل نظام متعدد الأقطاب).

يرى السيناريو الثالث أن الولايات المتحدة ستظل قوة سائدة ولكن أكثر ضعفاً كما إشرنا مسبقاً حيث سيتحول النظام العالمى لنظام متعدد الأقطاب ولتعزيز هذا السيناريو تحت بند التضامن والتعاون الدولى يجب توفر مجموعة من الشروط وأبرزها, وضع الخلافات السياسية سواء كانت دولية أو محلية جانباً وتخفيف عبء العقوبات الإقتصادية عن طريق تجميدها أو رفعها بالإضافة إلى تكثيف الجهود من طرف المنظمات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة والدول ذات التأثيرفى المجتمع الدولى لوقف العمليات العسكرية فى مناطق النزاع والصراع خصوصاً (ليبيا – سوريا) وغيرها التى أصبحت تواجه أوضاع إنسانية أشد صعوبة فى زمن الجائحة, لذلك فإن العلاقات بين الدول ستسير على مبدأ المصالح المشتركة التى تتطلب التعاون والتنسيق المتبادل وبالتالى فإن التقارب يبقى رهيناً بقدرة أطراف النظام الدولى خصوصاً الأكثر تأثيراً على احتواء القضايا العالقة بينهما والمرشحة للارتفاع على ضوء ما خلفته أزمة فيروس كوفيد 19 من تأثيرات على المنظومة العالمية ([30]).

[30]Burrows ,Mat and Engelke ,Peter,(April 2020) ,What World PostCOVID-19? Three Scenarios, Atlantic Council,

4- مدى تأثير وباء كوفيد 19 على التعاون الدولى

يرى بعض الخبراء أن معظم الدول فى البداية ردت من جانب واحد على الأزمة من حيث تنفيذ سياسات الإنغلاق وقد تستمر فى ذلك حيث أبرزت الأزمة أيضاً الحاجة إلى تعاون عالمى فعال ومن المرجح أن تكون هناك تطورات غير متسقة ومتناقضة وحتى القادة القوميين يقبلون أهمية منظمة الصحة العالمية وأهمية التعاون فى تبادل المعلومات وبحوث اللقاحات ومن المتصور أن تولى الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية اهتماماً أكبر للنظم الصحية والصحة العامة وأن يقترن ذلك بتعزيز دور منظمة الصحة العالمية وفرض قواعد أكثر إلزاماً وتجنيد المزيد من الموارد فمن الواضح أن ضعف النظم الصحية فى بعض البلدان يشكل تهديد للآخرين وأنه ينبغى أن لا نتوقع أى مبادرات هامة لتعزيز التعاون المتعدد الأطراف من جانب مجموعة السبع (G7) أو مجموعة العشرين (G20).

تجدر الإشارة أنه قد يصبح من الأسهل وضع الصحة العامة على جدول أعمال مجلس الأمن الدولى حتى من دون ربطها بالقضايا الأمنية التقليدية ولا ينبغى أن يكون هناك أى شك فى أن الصحة العالمية ترتبط إرتباط مباشر بالسلم والأمن الدوليين أما ما يرتبط بمسألة الصراعات بين الدول فإن أزمة كوفيد 19 لن تخفف منها ومن المرجح أن يتعايش التعاون والصراع المفتوح وخاصة بين الولايات المتحدة

https://atlanticcouncil.org/wp-content/uploads/2020/04/What-World-Post-COVID-19.pdf

- انظر كذلك : الحديدى ،عبد الرحمن،(مايو 2020) ، كورونا والسياسة: إعادة التفكير فى توابث النظام العالمى ، إضاءات .

والصين و يمكن أن نفترض أن الصراع الإيديولوچى بين الصين والدول الغربية يأخذ منعطف جديد فى طبيعة العلاقات التعاونية المتباينة بين الدول([31]).

يُفرز الواقع أن الصين التى تعرضت لانتقادات فى البداية لإخفاء هذا الوباء تقدم الآن نظامها الإشتراكى باعتباره أعلى من النماذج الديمقراطية فى التعامل مع هذا النوع من الأزمات كما أن الصين إكتسبت قوة ناعمة من خلال تسليم المساعدات بشكل جيد إلى إيطاليا وغيرها من الدول المتضررة بشدة وعلى النقيض من ذلك، لم تحاول الولايات المتحدة حتى تنسيق الاستجابة الدولية مما زاد من تقليص صورتها كقوة عظمى بل إن الرئيس الأمريكى ترامب حاول أن يقدم بلاده على أنها (وحدة قومية) وشمل ذلك محاولة لشراء شركة ألمانية للمستحضرات الصيدلانية من أجل تأمين لقاح للولايات المتحدة فقط فضلاً عن رفض تخفيف العقوبات المفروضة على إيران([32]).

---

[31]Lamond, James,(April 6, 2020), "Authoritarian Regimes Seek to Take Advantage of the Coronavirus Pandemic," Center for American Progress, https://www.americanprogress.org/issues/security/ news/2020/04/06/48271 5/authoritarian-regimes-seek-take-advantage-coronavirus-pandemic/.

- راجع هنا كذلك: مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة - مستقبل التنافس الچيوسياسى فى عالم ما بعد كورونا - تقرير - أغسطس 2020.

[32] Myers, Steven Lee, (April 17, 2020), "China's Aggressive Diplomacy Weakens Xi Jinping's Global Standing," New York Times, , https://www.nytimes.com/2020/04/17/world/ asia/coronavirus-china-xi-jinping.html.

يبرز سؤال ملح بذات الشأن هل سيساعد الفيروس فى احتواء الحروب والحروب الأهلية؟ من خلال تعاون الفرقاء فى الأغلب لا، إذ إن البلدان التى تشهد صراعات عنيفة مستمرة توحى بأن نسبة عالية من الفئات السكانية الضعيفة ستتضرر بشدة من الوباء وفى أسوأ الأحوال سيتم رسم خطوط الصراع الداخلي فى الدول شديدة الانقسام بشكل أكثر حدة ولم يلق نداء الأمين العام للأمم المتحدة/ أنطونيو غوتيريش لوضع نهاية للنزاع المسلح والتركيز على محاربة كوفيد -19استجابة إيجابية سوى فى دولة واحدة هى الفلبين فقط وفى المقابل، لم تكن هناك استجابة فى المناطق المشتعلة بالصراع مثل (ليبيا – اليمن – شمال غرب سوريا) وكذلك تنظيم داعش وجماعة بوكو حرام.

تُشير تقارير بعض المراكز البحثية إلى أن القوى العظمى الجديدة فى عالم ما بعد كوفيد 19 ستكون الدول التى حققت مستويات فائقة من المرونة الحيوية(Bio-resiliency) مقارنة بمنافسيها وهى الدول التى تمتلك مخزون وافى من البيانات البيولوچية إلى جانب امتلاكها مزيج من القدرات المتطورة فى مجال الذكاء الاصطناعى والصور المستندة إلى الأقمار الصناعية إلى جانب القدرة على توفير وإتاحة المعلومات بشكل سريع لكافة أجهزتها الأمنية مما يرفع من درجة تفوقها العسكرى، وستتنافس القوى العظمى الجديدة مع بعضها البعض من أجل تحقيق الهيمنة الحيوية (Bio-hegemony) وصولًا لمرحلة الريادة الحيوية (Bio-supremacy) ([33]).

[33] Smith, Jeffrey and Cheeseman, Nic, (April 28, 2020),"Authoritarians Are Exploiting the Coronavirus. Democracies Must Not Follow Suit," Foreign Policy, https://foreignpolicy.com/2020/04/28/ authoritarians-exploiting-coronavirus-undermine-civil-liberties-democracies/.

الخاتمة

يُبرز عالمنا المعولم رغم الإهتمام المتزايد بحقوق الإنسان كركيزة أخلاقية فى العلاقات الدولية وتبنى فكر السلوك المعيارى الذى تسعى أبعاد التنمية المستدامة لتجسيده وأن فى ظل الليبرالية الجديدة كل ما يحدث على الساحة الدولية يفصل بين الأخلاق ونظريات العلاقات الدولية ويقوض النظام المعيارى المتجذر فى الفلسفة المثالية التى جاءت بها المدرسة المثالية, ففكرة تصور كيف يكون العالم بطريقة مجردة كان بعيداً عن الواقع بسبب التشوهات المتنوعة للسياسة الدولية التى أدت لظهور أشكال متعددة من القمع عبر التاريخ البشرى مثل (الاستغلال المفرط للموارد الطبيعية – خلق الأزمات الدولية – ظهور أجيال جديدة كحروب الجيل الخامس والحروب البيولوچية الجرثومية) كل هذا أظهر مدى التشويه الأنثروبولوچى فى عالم اليوم فلم تعد العلاقات الدولية قادرة على شرح وتفسير سلسلة من الحقائق التى يُمليها تطور النظام الدولى بنائياً وتفاعلياً.

تجدر الإشارة الى أن الإشكالية التى طُرحت فى بداية البحث حاولت فهم أنه هل يمكن لهذه الجائحة أن تهيئ لظهور تغيير فى منظومة العلاقات القيمية (النظرية المعيارية كنموذج) للعلاقات الدولية؟ وبالدراسة والتحليل بدا أنه كنتيجة يمكن الوصول إلى أن الأفكار المعيارية إمتازت بالتذبذب فى الظهور والتأثير فى العلاقات الدولية من مرحلة لأخرى,نظراً للانتقادات التى وجهت لها غير أننا لا يمكننا إنكار مساهمتها فى التنظير للعلاقات الدولية خاصة بعد نهاية الحرب الباردة إلا أن بروز العديد من الممارسات التى نادت بها المعيارية على الساحة الدولية والتى تجسدت فى الوقت الراهن فى أزمة كوفيد 19، لذا وجب على دول العالم أن يستفيد من تجربة الصين فى ادارة الأزمات الإنسانية سواء كانت (حرباً

بيولوجية أو وباء حل بالعالم لا يد للبشر فيه) وأن نستخلص الدروس كنموذج للعمل (الإجتماعى – المدنى – الحكومى – التقنى) الموحد لتفادى نتائج مستقبلية وخيمة على البشرية, وهذا يجيب على (فى حالة وقوع أزمات عالمية جديدة ماذا يجب أن نفعل؟).

يطرح البحث أن هناك تلازم بين التنافس على نموذج النظام السياسى الأفضل وكذا المنافسة الچيوبوليتكية بين القوى الكبرى والناشئة وهو ما حركته أزمة كوفيد 19, ويأتى هذا الطرح إعتماداً على نقطتان مرجعيتان هما:

– يتعين على معظم الحكومات إن لم يكن كلها مواجة ما قد نُطلق عليه (إختبار الإجهاد) مع أزمة كوفيد 19 وهذا هو الحال بالنسبة للأنظمة التى تواجه صعوبات بالفعل مثل إيران والتى تتعرض بشكل خاص لأزمة جاءت فوق الأزمات المستمرة, فقد طلبت طهران للمرة الأولى مساعدة صندوق النقد الدولى, وفيما يتعلق بروسيا الإتحادية هل ستساعد الأزمة على المضى قُدماً فى الإصلاحات الدستورية بالبلاد أم أنها ستُعقد المعركة الغريبة حول أسعار النفط التى خاضتها روسيا ضد السعودية وبصورة غير مباشرة ضد الولايات المتحدة؟ ولكن الأمر نفسه إنطبق على القادة الديمقراطيين الذين تعرضت مصداقيتهم فى أعين الرأى العام للخطر مما أدى الى خسارة ترامب سباق الرئاسة.

– تؤكد تداعيات أزمة فيروس كوفيد 19 أن موضوع الحدود أصبح أكثر ضبابية فى النماذج المتنافسة فى عالم اليوم مما كانت عليه فى إبان حقبة الحرب الباردة المنصرمة فمن حيث السياسات فإن كلٍ من (إيطاليا – ألمانيا – فرنسا) لا تتبع

مثل هذا الخط المختلف عن الصين حتى لو كان من الواضح أن التنفيذ أقل حرماناً من الحريات الفردية, وأظهرت (كوريا الجنوبية – تايوان – اليابان) فى جوانب معينة سياسة صارمة وفعالة دون اللجوء للسيطرة الاجتماعية التى تدمر الحريات وهذا يوضح إلى حد ما تحول العالم نحو آسيا وليس نحو الولايات المتحدة التى تعانى من عجز قيادى مأساوى ولا أوروبا المترددة ويقصد هنا المملكة المتحدة ومناصريها.

ويرى الباحث أن عالم ما بعد كوفيد 19 لن يكون كما كان قبله حيث شكل الوباء إطار جديد للتفكير فى الواقع والمستقبل وقد بدأت منظومة العلاقات الدولية تتعرض لعملية إعادة تقييم إلا أن ذلك لا يمنع من القول إن التفاؤل بتغيير المنظومة القيمية بشكل سريعٍ على المدى القصير سيكون فى غير مكانه فالرؤية التى أسس لها توماس هوبز فى القرن السابع عشر أن الدول كالإنسان تتصرف بأنانية وتغلب مصلحتها على مصالح غيرها ستبقى لها الغلبة فى المنظومة القيمية للعلاقات الدولية لكن هذا لا يمنع من القول إن ما خلفه وباء كوفيد 19 من آثار ونتائج قد يفتح المجال لمراجعة قيم ومبادئ كثيرة تحكم العلاقات الدولية على المديين المتوسط والبعيد([34]).

لعل ما يُفسر ما تم إستخلاصه من نتائج تجلى فى ظل الإنقسام الذى بدا واضح فى الغرب حول طرق مواجهة أزمة كوفيد 19 المستجد وكذلك تغليب حسابات

[34] Pavel, Barry, (June 1, 2020),"The Coronavirus Is Raising the Likelihood of Great-Power Conflict," Defense One, https://www.defenseone.com/ideas/2020/06/coronavirus-raising-likelihood-great-power-conflict/165798/?oref=d-river

المصالح وتوازنات القوى على القيم فى علاقات الفواعل الدولية بعضها البعض، الأمر الذى أثبت فشل المنظومة القيمية الغربية التى تسيدت النظام العالمي عقوداً، فالنظام العالمى ليس مجرد فواعل دولية تسعى لتحقيق القوة بمعزل عن الآخرين لكنه يضم هياكل (إجتماعية – إقتصادية ثقافية – قيمية) جاء وباء كوفيد 19 لينبه للقصور فيها وإلى ضرورة إحداث تغيير على مستوى النظام ككل، يتناول الهياكل والقيم التى كانت سائدة قبل كوفيد 19 والتى يجب أن تختلف عن ما بعده وهذا الاختلاف يجب أن يركز على تكريس بوتقة جديدة من المفاهيم التى تقوم على القيم بين وحدات النظام الدولى بدلاً من التبعية والقوة المادية وحسابات المصالح وتوازن القوى فالإنسانية، مهما بلغت من تطور مادي، تبقى القيم أحد أهم مصادر قوة مجتمعاتها فى مواجهة أى تحدّيات أو أزمات.

وللإجابة على هل يمكن لها أن تفتح الباب أمام عالم يسوده مزيد من التعاون والجهود المشتركة لمواجهة التحدّيات والمخاطر غير التقليدية وبالتالى تحقيق مزيد من الاستقرار؟ نشير هنا أن مخلفات أزمة كوفيد 19 على النظام الدولى تفرض أكثر من أى وقت مضى على القوى الدولية العمل على زيادة فرص التعاون عن طريق تخطى العقبات سواء السياسية والاقتصادية وذلك فى سبيل تجاوز التداعيات الوخيمة لأزمة على المنظومة العالمية من خلال إعادة تبنى الأفكار والقيم المعيارية، وقد لا تعبر هذه القيم بالضرورة عن المنظومة الأخلاقية المثالية إنما عن القواعد الناظمة لفلسفة السلوك الإنسانى والأخلاقى الذى يحترم الفطرة البشرية ويقدرها مقابل ما هو غير أخلاقى خارج منظومة القيم الإنسانية كالأنانية والفردانية التى كشف عنها إنتشار فيروس كوفيد 19 على مستوى العالم.